محاضرة / دراسات في فلسفة الرسم العالمي محاضرة ٥ الكورس الاول

الذاتية والعالم الموضوعي عند فان كوخ وكوكان:

إن ماميز الفن الحديث هو تركيزه على الإنسان والذات الفردية، الإنسان بوصفهِ صانعاً للمعاني وخالقاً للأفكار ومفسراً للعالم الموضوعي. هذا الإنسان هو ما تختار التعبيرية الاهتمام به والتعبير عن ألآمه وآمالهِ وطموحاتهِ وغربته في عالم يتحول بسرعة من حوله. وهذه الغربة ازدادت قوة ووضوحاً مع عالم (ڤان كوخ ١٨٥٣-١٨٩٠) فاللون الصافي بحد ذاته يملك قيماً تعبيرية فضائية إضافة إلى كونها ذات مدلولات نفسية ذاتية يمكن أن تعبر عن ذات الإنسان وأفكارهِ ومعاناته أصدق تعبير . " لقد حاول فان كوخ أن يعطي شكلاً أكثر تعبيرية للعمل الفني وحاول أن يجعل من الألوان وإيقاعات الأشكال والكتل بمثابة تفاعلات للقيم الإنسانية وان تداخل الأشكال في لوحاته ماهو إلا تحول من الاستعارة البصرية إلى الإفصاح عن مشاعر الأفكار الداخلية .[١] كما في اعماله (شكل).

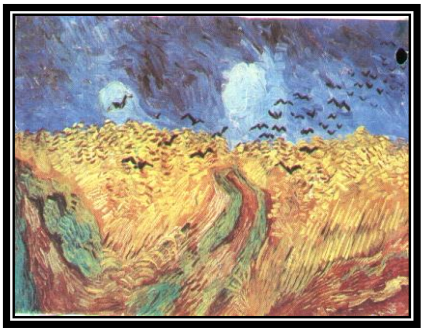

(شكل) ڤان كوخ، غربان فوق حقل قمح،١٩٠٨

(شكل) ڤان كوخ، ليلة مرصعة بالنجوم

وُعّد (كوخ) ظاهرة فريدة في الفن الحديث، اذ اكتسب الفن انطباعيته قيماً ذاتية اسهمت في اكتشاف المدى التشكيلي الجديد والمستقل عن المنظور" فبإطلاقه للطاقات التعبيرية للنفس والوجدان وإسقاطها على المرئي منح رسومه تسامياً روحياً، فالمواد، والعجينة اللونية محفزة بالإحساس والعاطفة، كما توصل إلى إن الانطباع اللوني ينتج من الظروف المناخية ويتحدد قيمته بواسطة الضوء الذي يتلقاه" [٢]. لقد أضاف (كوخ) الشيء الكثير للفن الحديث، ذلك الفن الذي ترعرع في أحضان الحداثة الأوربية وحضارتها العالمية والتكنولوجيا التي مثلت روح العصر، فظهرت أيضا تيارات فنية متأثرة بالتعبير والذات الإنسانية، فتأثر الفنان(هنري ماتيس١٨٦٩-١٩٥٤) كثيرا بإعمال (كوخ)، ودعى في فنه إلى التلقائية في التعبير عن الواقع، والحرية الذاتية، لأسس تستند على البساطة والنقاء والفطرة، كما في الفنون البدائية، جسدها في إعماله ذات اللالوان الصارخة (الأشكال) وقد عبر(ماتيس) عن إعماله بقوله: "ما أسعى إليه قبل كل شيء هو التعبير"[٣]. و(ماتيس) خير من مثل الحركة (الوحوشية*) التي وظفت اللون من ناحيته التزينية الزخرفية لان اهتماماتهم جمالية صرفة، والمثل الأعلى للفنان هنا تحول إلى الذات لكي تعبر عنه بتصورها الخاص، أما الواقع بالنسبة للوحشيين هو محض مبرر شكلي يخضع كلياً لسلطة الوجدان[٤].

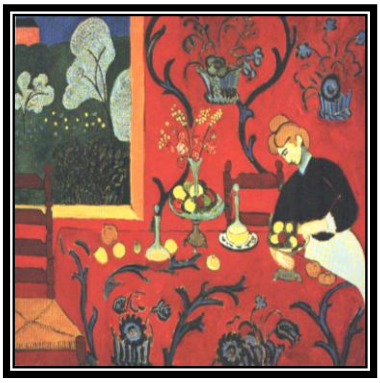

(شكل) هنري ماتيس، انسجام في احمر،١٨٠٩ قمح،١٨٩٠

أصبحت المفاهيم الجمالية في عصر الحداثة تأخذ منحى أخر بعيداً عن السياق التاريخي للفكر والفن السابق في الحضارة الغربية ، وتأسيس مفاهيم جمالية بأثر(ذاتي متغير) وفقاً للتزاوج الحاصل في المفاهيم عبر وعي الفنان الذي يحاول التواصل مع متغيرات محيطه ، مما ولد وجهات عديدة أصبحت هي المحمول لديمومة الحداثة " فالمجتمع

---

[١]- روجرز، فرانكلين ، ر : الشعر والرسم ، ترجمة : مي مظفر، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩٠ ، ص١٧٣ .

[٢] - الخميسي ، موسى:اللون والحركة في تجارب تشكيلية مختارة، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق،٢٠٠٨،ص١١٨.

[٣] - جي. أي. مولر ، وفرانك ايلغر، مئة عام من الرسم الحديث، مصدر سابق، ص٦٦.

* الوحوشيةFauvism : تعود جذورها كتيار فني الى نهاية القرن التاسع عشر ،وقد عرفت بهذه التسمية عام(١٩٠٥) من خلال الناقد (لويس فوكسيل) في معرض الخريف عندما اشار الى تمثال النحات(البير مارك) الى جانب اعمال ماتيس ، وخير من مثل هذا الاتجاه(هنري ماتيس) و(شاتو فلامنك)

[٤] - بهنسي، عفيف:أثر العرب في الفن الحديث، مطابع دمشق للتوزيع والنشر،ط٢،دمشق،٢٠٠٧،ص١٢٩.

الحديث بكل جوانبه والتطور التكنولوجي الكبير في كل الوسائل، جعلا التحقق المباشر بكل أشكال الفنون المعروفة معقولاً وسمحاً يتجاوز كل وظائف الفن السابقة"[١].

فالتكنولوجيا العلمية هي من بين المقومات التي ينبني عليها (الفن والأدب) الحداثيين وفق رأي (إيهاب حسن) بقوله " التكنولوجيا :إنها لا تظهر بوصفها سمة من سمات الحداثة فحسب، بل هي كذلك شكل الجهد الفني، وهذا بدوره قد بان أثره على مدارس الفن الحديث مثل : التكعيبية والمستقبلية والدادائية والسريالية "٢ التي آمنت بالتقدم العلمي وقدرات العقل الإنساني وتحوله من صفة التأمل الى صفة الباحث والمنقب، والبحث في أسبابه المعقولة .

ان الحداثة الغربية ارتبطت أرتباطاً وثيقاً بـ(العقلانية*) التي تؤمن بقدرة العقل والعلم، واعتبرت سمة (العقلانية) المقوم المهم في في بنية الحداثة الفلسفية إضافة إلى سمتي (الذاتية) و(العدمية)، ويقصد بها "احتكام الإنسان إلى العقل، في كل ما يحيط به، وجوده، وحياته، وعلاقاته، فلا يقبل إلا ما يقبله عقله، ويرفض ما لا يقبله، وبالتالي يكون العقل هو أداة الحكم على كل شيء، ووسيلة لسبر أغوار مختلف الظواهر، وإدراك كنهها" [٣].

---

[١] - جان دوفينو: سوسيولوجيا الفن، ترجمة: هدى بركات، منشورات عويدات ، باريس ، ط٢، ٢٠٠٨، ص ١٠٨.

[٢] - حسن، إيهاب: الحداثة في الثقافة والفن، ترجمة : عدنان المبارك، مجلة الثقافة الأجنبية، السنة الثامنة ، العدد الرابع، بغداد، ١٩٨٨ ، ص٤٥ – ٤٦ .

* العقلانية Rationatism: العقلانية مذهب قديم جديد بنفس الوقت برز في الفلسفة اليونانية على يد (سقراط وأرسطو) وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثَّروا كثيراً في الفكر البشري أمثال(ديكارت وليبنتز وسبينوزا) وغيرهم. وهي مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وأنه لامجال للإيمان بالمعجزات أوخوارق العادات، كما أن العقائد الدينية يمكن، بل ينبغي أن تختبر بمعيارعقلي. ينظر: كونتغهام ، جون: العقلانية ، ترجمة محمد منقذ الهاشمي ، حلب مركز الأغاء الحضاري ،١٩٩٧،ص٦-٧.

[٣] - جمال شهيد ووليد القصاب، خطاب الحداثة في الأدب،دار الفكر للنشر،دمشق_سوريا،٢٠٠٥،ص٤٠٩.